تعلم اللغة العربية في القارة الأوربية

الأستاذ الدكتور
أحمد مصطفى أبو الخير

الألوكة
alukah.net

www.alukah.net

مقال:
تعليم اللغة العربية في القارة الأوربية

الأستاذ الدكتور

أحمد مصطفى أبو الخير

أستاذ اللغويات بجامعة دمياط

الخبير الدولي في تعليم العربية

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

في عام ١٩٩٨ وعلى هامش مؤتمر للدراسات الإسلامية في فطاني، تايلاند: كنت أتحدث عن العربية وانتشارها خارج وطنها الممتدِّ من المحيط إلى الخليج، وكان هذا بحضور المستشرق الهولندي يوهان مولمان الذي ذكر ساعتَها أنه كتب مقالة بعنوان Arabic in Indonesia، تحدث فيها عن تأثير العربية في اللغة الأندونيسية الذي فاق التأثير المحدود للغة الهولندية التي احتلت أندونيسيا لمدة أربعة قرون.

وعند عودتي إلى مصر أرسل مولمان بمقالته، نظرت فيها فإذا هي بالغة الأهمية، بدأت أترجمها إلى العربية، ثم أشركت الزميل الدكتور أحمد فريد من جامعة المنصورة، ثم تمكنا من الحصول على نسخة كاملة من المجلة الهندية لعلم اللغة التطبيقي، الإصدار الخاص الذي نشر في الحاضرة الهندية دلهي ١٩٩٤ بعنوان:

Arabic outside the Arab world

ومن ثَم قمنا بترجمة الإصدار ببحوثه التي جاءت عشرة كاملة إضافةً إلى مقدمة المستشرق كيس فيرستيخ محرر العدد، واستمر عملنا ثمانية أعوام إلى أن فرغنا من عملنا.

البحوث في الإصدار يمكن أن تُقسم إلى قسمين: الأول: عن انتشار العربية خارج الوطن، بوصفها لغةً عالمية، ولغةَ دينٍ، وفي هذا الإطار جاءت دراسات حول العربية في أندونيسيا وإيران وفلسطين المحتلة، والولايات المتحدة ومالطة، وهنا يبدو تأثير العربية الواضح في اللغات الأخرى، وهو ما فسرته بعد العرب على الاتصال بالشعوب الأخرى، ما أهَّله للتأثير في ثقافاتهم ولغاتهم.

القسم الثاني: تضمن بحوثًا حول لغة المهاجرين العرب إلى لندن والبرازيل وألمانيا وهولندة، وفي هذا الجانب معلومات مهمة حول تعليم العربية خاصةً للمهاجرين في أوربة، وإن كان الجانب لم يخلُ من إشارة إلى تعليم العربية بوجه من الوجوه، كيف ؟

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

١- اللغة العربية في إيران لبروس آينجهام، من جامعة لندن، أشار فيه إلى عدم عناية إيران على عهد الشاة باللغة العربية، ولكن الأمر تغير الآن بعد ١٩٧٩، فأصبحت العربية اللغة الثانية، ونص الدستور في مادته السادسة على أهمية العربية ووجوب تدريسها بدءًا من المرحلة الثانوية؛ لكن المشكلة أن العربية في إيران لا تعلم بطريقة اتصالية ومناهج حديثة، وأرى أن الانفتاح على العرب واستقدام الأساتذة والمعلمين العرب والكتب والمناهج يمكن أن يعالج هذي الثغرات.

٢- العربية في الولايات المتحدة لمهدي العش؛ إذ ذكر أن التعليم يبدأ بالفصحى، وليس بالعامية؛ لكنه يشير إلى أن العرب مهما فصحوا من كلا مهم فإنهم برغم هذا يحشرون في فصحاهم شيئًا من العامية؛ لذا أجرى الرجل دراسته لتبين العناصر العامية هذي كي يُضمِّنها مناهج دراسة العربية للمستعربين في الولايات المتحدة؛ كي يتمكن هذا المستعرب من فهم ما يقول العرب بشكل دقيق مهما حشروا في فصحاهم من عناصرَ عاميةٍ، والهدف الثاني ألَّا يظهرَ كلام المستعرب وكأنه مختلف بعصماه النقية من أي عنصر عن فصحى المثقف العربي.

٣- العربية بين اليهود والعبرية بين العرب في فلسطين المحتلة: للباحثين نفتالي كنبرج ورفائيل تلمون، حيث أظهرت الدراسة ما يلي:

أ- برغم تمكن العرب من اللغة العبرية فإن لغتهم العربية لم تتآكل.

ب- الجهود الحثيثة التي يبذلها اليهود في دراسة العربية وتعلمها.

ج- لقد حسم اليهود جدلية العامي والفصيح، فاختاروا من العاميات العربية اللهجة الفلسطينية، وخاصة لفرق المستعربين التي تعمل في القرى العربية.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

٤- العربية في مالطة: للباحثين، ألبرت برج، ومانويل مفسد، أبرزت الدراسة أن اللغة المالطية هي في الأصل لهجة مغربية عربية؛ لكنها بانت عن العربية بكتابتها بالحرف اللاتيني الأوربي، وبدخول عناصر إيطالية أولًا، ثم عناصر إنجليزية فيما بعدُ.

الدراسة أبرزت جهودًا عربيةً بذلتها ليبيا لتعليم العربية في مالطة، ولكن المالطيين لا يهتمون بلغتهم، فضلًا عن العربية؛ إذ برغم أن المالطية والمالطيين هما من أصل عربي، إلا أن وجهة مالطة هي أوربية غربية، وليس عربية شرقية.

٥- العربية في أندونيسيا: بوهان مولمان، تحدث عن تعليم العربية في ذياك البلد مشيرًا إلى شدة الاهتمام بتعلم العربية، سواء في التلفاز المحلي أو معهد جاكرتا التابع لجامعة الإمام (السعودية) ثم الجامعات الإسلامية والحكومية والمدارس، وقد خلُص إلى أن برنامج تعليم العربية في التلفاز الأندونيسي بدء التسعينات حظي بأكبر عدد من المشاهدين.

أما على الجانب الآخر- أي: دراسة لغة المهاجرين العرب- فقد وجدنا دراسات مهمة في تعليم العربية للمهاجرين العرب، ومنها:

١- اللهجة المغربية في هولندة، الاكتساب والفقدان: تأليف عبد الرحمن العيساني، وكس دي بوت، من جامعة نيمخن في هولندة، فكان من نتائج الدراسة:

أ- أن تدريس لغة المهاجرين سوف يرفع من تقدير التلاميذ لذواتهم، ومن ناحية أخرى يقلل هذا التدريس الهُوَّةَ بين لغة البيت ولغة المدرسة.

ب- أهمية المعرفة باللغة الأولى للمهاجر في اكتساب اللغة الثانية، وهي الهولندية هنا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

ج- أن كثيرًا من المعلمين الهولنديين كانوا يرون أن اللغة الهولندية في المدارس أولى بالرعاية من لغة المهاجر العربية، ويرون العمل لتدريس العربية للمهاجر مضيعة للوقت.

د - أن هذي الدراسة وما سبقها تشير إلى تآكل عربية الجيل الثاني والثالث من المهاجرين المغاربة، لصالح اللغة الهولندية، ولكن الهاجس المقلق هو التساؤل: عندما يكبر هؤلاء الأطفال، هل سيصيرون عربًا مسلمين أم مسيحيين أوربيين ؟

والرأي عندي أن المشكلة ليست في أن يصبحوا عربًا أو أوربيين، فهذا شأنهم في دنياهم وآخرتهم؛ لكن الأهم أن يصيروا قادرين على التوافق والانسجام والتواصل مع الناس الذين يعيشون بينهم.

٢- الجالية المغربية في هولندة: جان إكستر، وجان جاب دي، من جامعة تلبرج الهولندية، تطرقت الدراسة إلى تعليم لغات المهاجرين ومنهم المغالبة لتخلص إلى:

أ - برغم تدني الدعم الرسمي في هولندة لتدريس لغة الأم فإن درجة مشاركة الأطفال المغاربة في برامج تعليم العربية يُعَد مرتفعًا.

ب- وجهة النظر الهولندية الشائعة أن على أسر المهاجرين أن تتخلى عن لغة الأم لصالح الهولندية.

ج - أن نظرة الهولنديين إلى لغات الأقليات المهاجرين تتسق مع اتجاه كثير من الهولنديين في الخارج الذين يهجرون لغة وطنهم الأول بشكل أسرع من غير من المهاجرين.

٣- المهاجرون من الأقطار العربية إلى ألمانيا، الوضع اللغوي، وتعليم لغة الأم: تأليف أولربخ محلم، تحدثت الدراسة عن:

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

أ - أن بعض الولايات الألمانية نجحت في بناء نظام لتعليم العربية يأخذ في الحسبان الخصوصية الثقافية وإلى حد ما الأوضاع اللغوية الاجتماعية لأطفال المهاجرين.

ب- أن تعليم الأطفال المغاربة في هولندة قد اصطدم بمشكلتين محيرتين، هما أن لغة الطفل الأولى ليست العربية دوما، بل قد تكون الأمازيغية، إضافة إلى أن الطفل العربي- سيما في المهجر- ربما لا يعرف غير العامية المغربية، ولا صلةَ له بالفصحى من قريبٍ أو بعيد.

ج- ولا يمكن الوصول إلى حلٍّ شافٍ للمشكلتين ما لم تغير الدولُ العربية من سياساتها اللغوية، وذلك بدعم العربية الفصحى داخل الوطن.

وبعد استعراض بعض دراساتٍ وبحوث ومن خلال خبرتي في تعليم العربية في نيجيريا وماليزيا وأوكرانيا وتايلاند، وما قمت به من دراسات وبحوث لخدمة العربية أستطيع أن أوصيَ بما يلي:

١- العناية بتعليم العربية في أوربة لأطفال المهاجرين وغيرهم من الوطن الأوربي، وفي هذا الإطار أقترح أن ينشأ قسم أو مركز أبحاث يتخصص في تعليم العربية في القارة الأوربية، يدرس القضية برُمَّتِها، ويُقدِّمُ الحلولَ للمشكلات والمعضلات بعيدًا عن الاستشراقي التقليدي.

٢- أن نبدأ في تعليم العربية بالفصحى وليس العامية، مع تقديم العناصر العامية التي يفتأ العربي يحشرها في فصحاه.

٣- أن يدخل العرب على الخط وبقوة، فتسهم الحكومات العربية بجامعاتها ومؤسساتها وكوادرها وأغنيائها في مشروع طموح لتعليم العربية في القارة الأوربية، على أن تخاطب كل هذي الجهات فور الانتهاء من أعمال الندوة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

٤- في أوربة كثير من الكوادر من العرب ومن الأوربيين ما يمكن أن يصنع فريق عمل مقيم يمكن أن يكون دِعامةً مهمةً لانطلاق مشروع ضخم لتعليم العربية.

٥- وأنا أضع خبرتي في تعليم العربية ودراستها في خدمة أي مشروع ينهض بتعليم لغتنا في أوربة، وكذا إمكانياتي المتواضعة.

٦- كما أنني مستعد للحديث إلى جامعتي في مصر لوضع إمكانياتها في خدمة أي مشروع تعليمي أو أكاديمي ينهض بلغتنا.

٧- المؤسسات الأوربية أيضًا أو العربية في أوربة.

والله الموفق إلى ما فيه رضاه، وصلاح الدنيا والدين والآخرة!!

شبكة الألوكة - قسم الكتب